Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن أديب إسحق ، مع شوقه للبحث عن أصيل في الفعل الفكري الأدبي ، لا يُحقق هذا الشوق . إنه يُدْخِلُ المتعامل مع نصوصه « التقعيديَّة » دوامة تنظير غير ناضج ؛ وبالتالي ، فإنّ إسحق يصبح غير قادر على الوصول إلى « قرار » في بنية إيقاع فعله الأدبي .

نجيب الحدّاد[٣٩] ، بدوره ، يبقى ضمن هذه الحدود التي وصل إليها أديب إسحق ؛ لكنه يختلف عن إسحق في مادة العمل . لقد حاول الحداد أن يُكَوِّنَ خطوةً أولى باتجاه المقارنة الأدبية في الفكر الأدبي المعاصر . فبحث فيما أسماه « مقابلة بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي »[٤٠] ؛ وهذه إطلالة ، في وقتها ، تشكّل تجاوزاً واضحاً لتقاليد الفعل الأدبي عهد ذاك ، ذلك الفعل الذي كان منصبّاً على دراسة ذاته دون التطلّع إلى مقارنة مع الآخرين . الحدّاد سعى إلى اختراق أسوار الفعل الأدبي العربي ليمدّ جسراً إلى الآداب الأجنبية ، وبالتحديد الأوروبية . بيد أنّ عملية الاختراق هذه تفتقر إلى عدة لم يكن الحداد ليمتلك كثيراً من عناصرها ؛ ولذا فقد وقع الرجل في متاهات وتعميمات لا طائل تحتها .

لم يكن نجيب الحداد يملك من عدة المقارن بين الآداب العربية وتلك الأوروبية ، وباعترافه ، سوى معرفة ما باللغة الفرنسية تكشفها نوعية الخلاصات التي توصّل إليها . ولذا ، فمن خلال ما عرفه الرجل من الفرنسية سعى لإعطاء أحكام عن الآداب الأوروبية برمتها ؛ فبقيت أحكامه ، واستناداً إلى مخزونه الثقافي ، في حدود التعميم بل وكانت أحياناً تميل إلى ما يُشْبِهُ التجهيل ؛ وهذا فِعْل لا يمكن أن يدخل ضمن طموحات المقارنة الأدبية الحقّة .

إن الحداد ، وعلى سبيل المثال ، يتحدّث عن محدودية لآفاق الوزن الشعري « الأوروبي » ، وعن ضعف في القدرات اللغوية عند الأوروبيين ، مقابلاً هذا الأمر بسعة العربية وغزارة مفرداتها[٤١] . بل إنّ الحداد ، وحتى عندما يسعى إلى مقارنة بين النتاج العربي وبين النتاج الفرنسي ، كمثل مقارنته بين وصف المتنبي للأسد ووصف فيكتور هيغو لمعركة واترلو ، فإنّه يظل في أجواء من التعميم أو الافتراضات التي تنقصها البراهين الثابتة . وعلى هذا فهو